

اولية القبلين على المشتري من اسهم مشروعاتنا لما قد تحقّقوه من نجاح مستقبلها .
ويؤخذ من تقرير رسمي صادر مؤخراً من ادارة الخارجية البحرية الالمانية أنهم يقدّرون
بمائتين وخمسة وعشرين مليون مارك قيمة ما يشاركنا فيه الالمان في مشروعاتنا خصوصاً
باسهم اعمال سككنا الحديدية في توكية اوربة وآسية الصغرى . ومعلوم ان الشركة التي
نالت امتياز خط بغداد الكبير انما هي شركة خطوط الاناضول وهي المانية

وقد جاء تعيين بعض الضباط الالمان في خدمة الجيش العثماني مساعداً لنمو التجارة
الالمانية وكذا قل عن المهندسين بالخطوط الحديدية . ومما زاد في تحسين الصلات بين
بلادنا والمانية البعثات العلمية التي قام بها نخبة من العلماء والسيّاح فحضروا اوطاننا
وتجوّلوا بيننا ودرسوا اخلاقنا وعوائدنا وعرفوا حاجاتنا فنشروا عنها في بلادهم المقالات
المستجادة فتنّب لها التجار الالمان وكان لها عندهم نتائج حسنة للتجارة . وأضف على
ما تقدّم ان لالمانية مستعمرات زراعية في سواحل بلادنا كحيفا ويافا يسعى اصحابها
في الفلاحة وزراعة الكروم والاشجار المثمرة أصابت محصولاتها نجاحاً كبيراً . فان
مستعمرة يافا مثلاً تصدر في السنة نحو ٧٠٠٠ هكتولتر من الحمر وقس عليه
الباقى

وخلاصة ما يقال ان التجارة الالمانية على تقدّم واتساع عظيمين ما بين صادرات
من بلادنا الى بلادهم وواردات من بلادهم الى بلادنا . وكما زى من ميل الالمان اليها
كذلك رأيناهم سعوا سعياً حميداً في التقرب من الدولة العلية لاحتراز صداقتها
واكتساب مودّتها . ولا تزال الامتان تسعيان لما يعود لصالح العباد وانتفاع البلاد
وقفهما الله تعالى بئته وكرمه

الضيافة عند العرب

رواية مربية بقلم الاديب س. س.

أطلعنا في العدد الاخير من النشرة التونسية على خبر رواه احد وكلاء الدعاوي في
تونس احببنا اثباته هنا ليرى القراء ان ما نقل عن جود اهل البادية وعن تغاينهم في

أكرام الضيف وتأهيل الغريب في القرون الغابرة قد توارثته العرب المحدثون كخليفة شريفة يبذلون دونها أنفسهم ونفيسهم ويتفاخرون بها مرددين قول الشاعر:

الله يعلمُ أَنَّهُ ما سرَّني شيئا
كطارقة الضيوف التزلُّ
ما زلتُ بالترحيب حقَّ خلتي ضيفاً له والضيفُ ربُّ المنزلِ

*

قال الراوي: دعيتني واجبات مهنتي في اوسط شهر آب سنة ١٨٩٣ الى بلدة تُدعى زاوية المعصرة شمالي «قربة» في انحاء راس الدار (Cap-Bon). ففقدتُ فيها جلسة لاستنطاق بعض الجناة ثم اتَّخذتُ لي دليلاً من عرب الناحية نحو الساعة الثانية بعد الظهر ليسير بي الى «نابل» قبل ورود الليل. وما كنتُ لأبشر سيراً كهذا في فصل القيظ لولا اني رأيتُ اديم السماء قد غطَّته السُحب فاطفأت ودائق الحرِّ

فلماً صرنا على مسافة بعض اميال من «قربة» اكفهر الجو وومض البرق الحاطف للابصار وعصفت الريح فثار من الارض عجاج كحل العيون بذراته ولم يلبث قصيف الرعد أن دوى ومزق اديم الزرقاء واجرى الامطار كالسيل المدرار فصارت ثيابي بعد قليل كصير الماء الا ان رفيقي صاح بي قائلاً:

«بارك الله فيك سيدي فان سفرك لميمون. دونك المطر غسال اليبدر. ولكن لا سبيل الى مواصلة السير فهياً بنا نخلُ في هذا الدوّار على شمالنا في جانب الطريق» فاذعنتُ لقول دليلي وركضتُ جوادي الى حيث اشار. فلماً اقتربنا من المكان هرت في وجهنا الكلاب وكادت تهجم علينا واذا برجلٍ من اهل الدوّار خرج فتقدّم إلينا. فابتدره رفيقي بالسلام وقال:

بشراك يا شيخ احمد هوذا السيد ب. وعبدك اتيناك طالبين ضيافتك فنسكن عندك ريثما يأذن الله في ركود الريح وهدو العاصفة

— بارك الله فيك وفي السيد القادم

مترنًا رجبً لمن زاره نحن سواء فيه والطارقُ

قال هذا وامسك المطايا لثترجل عنها ثم سلّم الخيل لوليد وادخلنا داره وهم يدعون الدار جربة (قريبي gourbi) وكانت مفروشةً بجصير من الحلفاء. فاجلسنا في صحنها واكرم مثوانا ثم خرج بعد حين مستأذناً بالذهاب طالباً ان ننتظره

مرّت علينا ساعة واذا بصاحب الدار عاد وبين يديه جَفَنَةٌ من الكُنْكَسِ وفي اثره غلمان يحملون القصاع فيها إدام من المرق الاحمر والبندورة والفلفل واللحم غيد النضيج. وكان ينبعث من هذه الاطعمة رائحة كريهة من الزيت القِيم والسَّيْن السَّيْنِ غثتُ منهما نفسي وجشأتُ فما استطعتُ ان اذوق منها لماظاً فشقّ على ضيفي امتناعي عن الاكل وكان عدّاً ذلك اهانة لولا اعتذاري باني لم اعتد هذه المأكّل قمام على الأثر واتاني بعد برهة من الزمان بعددٍ من البيض النمرشّت

فبعد البسمة باشرتُ بنقف بيضةً لاحتسأها ثم فكّرتُ في الملح فطلبتُ منه قبصةً وأنا لا ادري ما تكمنه لي الاقدار فخرج الشيخ احمد الى مضارب الدوّار فلم يجد ملحاً عند اهله. فعرفت فضولي وتندّمتُ على طليبي. ثم طيبتُ قلب الشيخ قائلاً: انتي عنه لقي غنى. لكنّه لم يصح الى كلامي بل اوماً بيده الى غلام هناك فاقترب منه شاب في مقتبل العمر رشيق القد جميل الهيئة حسن البزّة وهو مشتملٌ باحرام فنظر اليه الشيخ نظرة مفتخر وقال لنا: «هذا عليّ ابني» ثم التفت الى الفتى قائلاً: «أبنيّ عليّ» كافي بالعاصفة قد سكنت ثأرتها فاركب مسرعاً مهرنا الحضراء واذهب الى اقرب دوار منّا وانتنا بملح»

فتصدّيتُ للشيخ ما امكنتني وحلفتُ بأيمان محرّجة اني لا اذوق البيض اذا خطا عليّ ابنة خطوة خارج الدوّار. لكنّ الشيخ احمد لم يكثر لقولي فسار الغلام وبقيتُ في الجربة وحدي مع الدليل وضيئي

ففضي علينا نصف ساعة ثم ساعة ثم ساعتان قبل ان نستبشر بعودة الغلام. فانفرط بيننا سبط الكلام ثم ساد سكوت اشبه بسكوت القبور وبدت على ملامح الشيخ احمد امارات الجزع والاضطراب. وكان الليل في اثنا. ذلك ضرب على الارض اطناباً وهدأت كل الحركات فلم نكد نسمع دكّاً اللهمّ إلا صوت قطرات من المطر كانت تكف فوق الأحساء.

وكانت اتعاب النهار مع قلة الأكل قد هدّت قواي فشعرتُ بالنعاس قد اثقل اجفائي وكاد يحدّر اعضائي وكذلك رفيقي اوشك النوم يكتحل عيونه. ونحن كذلك اذ سمعنا من كشب صوتاً منكراً اطار النوم عن العيان واقشعرت له الابدان

وكان الصوت صراخاً فاجعاً مستطيلاً طرحتُ امرأةً في بطن الليل الداجي ثم اردفت الكلاب من بعده فصغبت صخباً شديداً وملأت الحي نجحاً

فوثبنا ثلاثتنا الى الجربة لتري ما الخبر واذا باصوات البكاء والويل تتوالى فتقرَّب الينا وفي جملتها ولولة النساء لا تخذ من حين الى آخر حتى يسمع هتاف افقطع من الصراخ الاول كان يحمده له الدم في العروق

وكنّا نحن على باب الجربة ينظر بعضنا الى البعض نظر المتحير الدهش لا ندرى ما الداعي لهذه اصوات الويل والشبور اذ تراءى لنا نور مشعل ضئيل فيزنا في ضوئه جنازةً يحملها نفرٌ وكان على الجنازة جثة هامدة لم نلبث ان عرفناها واذا هي جثة عليّ ذاك الشاب ذي البهاء والجمال الذي راقنا منظره في اصيل النهار

وكانت علة موته انه لما عاد من الدوّار حيث ارسله ابوه لطلب الملح عثرت رجل فوسه في دجى الليل فوقع الراكب من ظهرها وصدّم رأسه بصخرة في الطريق فمات موتاً وحياً فلما استطال اهله عودته ارسلوا قوماً يستطلعون اخباره فوجدوه صريعاً بين الصخور

وبينا كان حمة النعش يحطون بحجم الميت كان الشيخ احمد ينظر الى ابنه نظرة ابي فجع بغلظة اكبادِه ومظنة آماله. وانا سبب موت الغلام على غير اختياري بل رغماً مني كنت بقرية واقفاً واجماً لا ابدي حواسكاً كأنّ صاقعة انقضت عليّ ففلجت جسي. امّا الدليل رفيقي فكان يسرح بصره بين الوالد المسكين وبينى لا يدري ما يقول او يفعل

فمدّ الميت في زاوية من الجربة وكان فوه مفتوحاً كأنه يريد التكلم. فاشار الشيخ الى النسوة ان: اكفّن عن العويل. فسكّتن للحال وخرجن مطرقات صامتات عندئذ دعانا ضيفنا ودعا معنا كل الحضور لندخل المنزل. فجلّسنا حوله لا ننبس بكلمة. وكان كل منّا يجيل في فكره حوادث ذاك النهار المشؤم وكانت كل اصوات الخارج قد هدأت ثانية ألا قطرات ماء المطر كانت تُسمع بقبقتها عند سقوطها في اجران الماء تحسب صوتها في هدوء الليل الدامس كهوت الموت

وبقينا كذلك مدةً غانصين في بحر الغم اذ لحنا الشيخ احمد فرائناه مسح وجهه وحيته يديه قائلاً: «الله اكبر انه وحده ازلي لا يموت» ثم التفت الى احد الحضور

فسأله: وهل أتى بالملح. ققام رهط من الجلوس ودسوا جثة الميت فوجدوا لقاقة فيها الملح. فوجه الشيخ الكلام نحو قائله: «سيدي ان ولدي اناك بالملح ققم بلا تكلف وشرفني باكل طعامي». ثم اراد ان ينشطنا على الاكل فاخذ دُبلة من الكسكس وادخلها فاه وقال للجلوس: «هياً باسم الله يا اسيادي كلوا»

فلما رأيتُ هذا الجلد وسمعت هذا الكلام عمل في منظر الشيخ عملاً لا يوصف فاندفعت ابكي وعلا صوت نحيبي. ثم خرجت من الدوّار وحدي رغباً عن العاصفة واهوال الليل وقفر المكان لا اعني. ققام الشيخ مع الحضور ليوقفوني ويردوني الى اللؤلؤ ألا آتي لم أعزهم سمعي ولم انكص على الاعقاب لتوسلاتهم والحاخام بل سرتُ هائماً في وجهي الى ما شاء الله

بحث جغرافي

في سيرة القديس مارون الناسك

للاب هنري لامنس اليسوعي (تتمّة)

٦

اثبتنا في ما سبق ان القديس مارون عاش وتوفي في القورسيّة. وفيها دُفن ايضاً ليس بعيداً عن مكان وفاته. وذلك واضح لمن اعتبر قول توادوريطس. وقد ادّعى بنا من جهة أخرى مجال البحث في الفصل السابق الى ان نجعل دير القديس مارون قريباً من افامية اعني على مسافة نحو مئة كيلومتر جنوباً من قورس. وكأني بالقاردي يستغرب الامر ويجد في تعيين موقع هذا الدير خارجاً عن القورسيّة بعض التناقض ويشك في صحّة النتائج التي استنتجهاها

كلّاً لا تناقض في ما قلنا. وان يكن في الامر مشكل. وأنما المشكل اعظم واقرى اذا ما جعلنا موقع دير القديس مارون في جهات حمص اعلم أنّه لا يعرف نص واحد يذكر صريحاً ان جسم القديس مارون دُفن في افامية. بل في قول توادوريطس ما هو عكس ذلك. وأنما ثبت التقليد ان راس الناسك القديس بعد خراب ديره القريب من افامية نُقل الى لبنان